

الخبيس 10-01-2008

132- نجيب محفوظ: قراءة في أحلام فترة النقاثة

قبل النقد

وصلنا من د. أميمة رفعت قراءة أخرى لخم "20" وهي القراءة التي أشرت إليها في حوار بريد الجمعة 4 يناير 2008 وهي منشورة في زاوية "المخرون الضيوف" link، أرجو أن تحقق بذلك بداية متواضعة لما كنت أرجوه مما أسماه "نقد النقد"، أو لعله "نقد على نقد"، وأحيانا "نقد آخر"، أرجو أن يمثل مثل هذا النقد البذرة التي كنت أتمنى أن تزرع في أرض أكثر خصوبة، وحقل أوسع انتشارا برعاية الدولة بما أسمته "دورية نقد أعمال محفوظ" Link ليست بالنسبة لأحلام فترة النقاثة فقط، وإنما لكل أعماله.

ثم أني عثرت مصادفة على بعض اجتهادات لي سابقة بالنسبة لأحلام النقاثة كنت قد نسيتها، ووجدت اختلافا بين ما قرأته ناقدا مؤخرا في هذه اليومية، بين ما كتبته سابقا، وبدلا من أن ألغى القديم أو أقارنه بالأحدث فضلت - في هذه المرحلة - أن أنشر هذه القراءة القديمة مع الجديدة لخم "14" وأدع للقارئ (الناقد) دور المقارنة، حتى أعود إليها، أو لا أعود، حين يكمل العمل طويلا. (أنظر الملحق: القراءتان والخلم (14) مع قراءة حلم د. أميمة (20) ولا أجد حرجا في نشر نص الخلم قبل كل نقد).

والآن إلى الخلمين الجديدين

الخلم (23)، الخلم (24)

الخلم (23)

أسير في الشارع وأنا على بينة من كل مكان فيه، فهو عملي ونزهي، وأصحابي وأحبائي، أحيى هذا وأصافح ذاك، غير أني لاحظت أن رجلا يتعداني بمسافة غير طويلة وغير قصيرة، وبين كل حين وآخر يلتفت وراءه كأنما ليطمئن إلى أني أتقدم وراءه. لعلى لم أكن أراه لأول مرة، ولكن على وجه اليقين لا تربطني به معرفة أو مودة، وضايقتني أمره فاستفزني إلى التحدي.. أوسعت الخطى فأوسع خطاه، أدركت أنه يبيت أمرا فازددت تحديا، ولكن دعاني صديق إلى شأن من شئوننا فملت إلى دكانه

واهمكت في الحديث فنسيت الرجل وأهيت مهمتي بعد الأصيل فودعته ومضيت في طريق سكني، وتذكرت الرجل، فالتفت خلفي فرأيتَه يتبعني على نفس طبيعته.. تملكني الانفعال، وكان بوسعي أن أقف لأرى ماذا يفعل ولكني بالعكس وجدت نفسي أسرع وكأنني أهرب منه، وأخذ يساورني القلق وأتساءل عما يريد. ولما لاح لي مسكني شعرت بالارتياح وفتحته ودخلت دون أن أنظر خلفي، ووجدت البيت خالياً فاتجهت نحو غرفة نومي ولكني توقفت بإزاء شعور غريب يوحي لي بأن الرجل في داخل الحجر.

القراءة

علاقة محفوظ بالشارع والحارة وناسهما، ربما هي أوثق وأدق من علاقته بالبيت والقهوة والثلة، الشارع هو الناس، ناسه بحق وهو يحفظه، يحفظهم "صمًا"، وأنا على بينة من كل مكان فيه، فهو عملي ونزهتي وأصحابي وأحبائي، أحيى هذا، وأصافح ذاك"، وبرغم كل هذه الألفة، وهذا الود لم يمنعه ذلك أن ينشئ إيجاباً، وظاهرة الانشقاق ليست عرضاً نفسياً كما يجب بعض النفسيين أن يجتروه لوصف بعض المرضى، هو حركية دالة ومهمة، خاصة إذا تمت تحت إنارة ضوء نسي من الوعي الفائق.

المريض، قد يشكو من مثل هذه المتابعة، من شخوص داخله يسقطهم عادة خارجه، لكن المبدع، (والصحيح بإيجابية) قد يعايش مثل هذه المتابعة، إذ هو قادر على أن يسمح بالتفكك كخطوة تمهيدية، حتى يتجمع من جديد في إبداع ذاته تشكيلاً نامياً، أو في إنتاج إبداعه عملاً أصيلاً.

في الوعي الشعبي قد يرتبط مثل هذا الشعور (بشخص ما حاضر بالجوار والمنا حول aboutness) بما يسمى "القرين".

في الحلم والابداع، والحلم/الابداع (هنا)، قد تتجسد هذه الظاهرة تشكيلاً دالاً دون أن تكون عرضاً مرضياً، تتشكل في لوحة دالة مثلما هنا في هذه اللوحة المحفوظية.

يبدأ الحلم بنوع من "الغذب" لا "المتابعة".

الرجل في الأمام، والراوى هو الذى يسير خلفه، وكأنه يقوده، يتبعه بشكل مقلوب، اليقين بعدم وجود معرفة أو مودة، لا ينفي بل لعله يثبت أنه هو هو، الداخلى مستقلاً، الراوى يلجأ إلى فاصل من التواصل الدافئ والتوقف المؤنس للهروب من هذا الآخر الغريب القريب "دعاني صديق.... فملت إلى ذكائه وأهمكت في الحديث فنسيت الرجل" الخ....،

بعد هذا الفاصل الذى امتد حتى الأصيل تعود حركة بسط الإيقاع (بالانشقاق)، فتعود المتابعة لكن ينتقل الشخص (أو الشيخ أو الشعور المجسد أو القرين) إلى مكان المتابعة الطبيعى، فهو يسير الآن خلف الراوى هذه المرة وهو يحتفظ - على ما يبدو - بنفس المسافة.

يلوح الخ، لكى يتجمع الراوى "واحدًا" (كفى هذا) - كما

بدا في أحلام سابقة - في الدعوة إلى العودة إلى البيت الملاذ (السكن/الرحم/النوم) .

لكن البيت - كما تكرر أيضا من قبل- يثبت أنه لا ونيس فيه، على عكس ما راوده من أمل "ووجدت البيت خاليا"

وحين يخطو خطوة أخرى إلى الداخل إلى النوم (حجرة النوم)، لا يجد الونيس أيضا، بل ربح هذا "الآخر" الغامض.

ينتهي الحلم حين يتحول هذا الآخر "الشعور المتعين رجلا"، (يتقدم أو يتبع)، يتحول إلى شعور عام غامض محيط،

هذا وارد، حين ينتهي دور التفكك (الإنشقاق الإيجابي المؤقت) إلى ما يسمى "المعرفة الهشة" amorphous cognition التي هي الخطوة الحامل لأجنة إبداع ما.

هكذا نتعلم من هذا الحلم - وعموما - أجدية أخرى من بعد آخر عن النفس وتعددتها، وحركيتها، وإيقاعها، وعن علاقة هذا الشعور "المحيطي" الذي انتهى به الحلم، والذي برغم هلاميته التي توحى ولا تحدد،

تتخلق منه الشخوص والموضوعات في الإبداع، حين يتشكل في "الجديد الأصيل".

الحلم (24)

قررت اصلاح شقتي بالاسكندرية بعد غياب ليس بالقصير، وجاء العمال وفي مقدمتهم المعلم وبدا العمل بنشاط ملحوظ، وحانت مني التفاتة إلى شاب منهم فشعرت باننى لا أراه لأول مرة، وسرت في جسدى قشعريرة عندما تذكرت أننى رأيتة يوما في شارع جانبي يهاجم سيدة ويخطف حقيبتها ويلوذ بالفرار، ولكنى لم أكن على يقين وسألت المعلم عن مدى ثقته بالشاب دون ان أشعر الشاب بذلك فقال لى المعلم:

- إنه مضمون كالجنه الذهب، فهو إبنى وتربية يدي، واستقر قلبي إلى حين، وكلما وقع بصرى على الشاب انقبض صدرى، وطلبا للأمان فتحت إحدى النوافذ المطلة علي الشارع الذى يعمل فيه كثيرون ممن أعرفهم ويعرفوننى ولكنى رأيت حارة الجراج التي تطل عليها شقتى بالقاهرة فعجبت لذلك وازداد انقباضى، وجرى الوقت واقترب المساء فطالبتهم بإنهاء عمل اليوم قبل المساء لعلمى بأن الكهرباء مقطوعة بسبب طول غيابى عن الشقة.

فقال الشاب: "لا تقلق.. معى شعة".. فساورنى شك بأن الفرصة ستكون متاحة لنهب ما خف وزنه ومجئت عن المعلم فقيل لى أنه دخل الحمام وانتظرت خروجه وقلبي يتزايد، وتصورت أن غيابه فى الحمام مؤامرة، واننى وحيد فى وسط عصابة، وناديت على المعلم ونذرت المساء تتسلل إلى الشقة.

القراءة

التداخل التنقل يتم هنا بين مكانين على بعد أكثر من

مئاتي كيلو متر، شقة الاسكندرية بعد غياب، يفتح شياكها على حارة الجراج التي تطل عليها شقة القاهرة، هذا التكتيف للزمان والمكان يتواتر أكثر فأكثر في إبداع الأعلام، ومن فرط تكرار ذلك، وصلني أنه قد يبعث رسالة للمتلقي **ليحذق "الحركة" و"التداخل" و"الكلية معاً"**، هذه الآليات تبدو لي أنها أصل في التركيب البشرى قبل أن تحتزله إلى ما نعرف عن ظاهره،

شقة الاسكندرية كانت مهجورة لفترة **(بعد غياب ليس بالقصير)** أما شقة القاهرة فهي إلف مألوف، هي وشارعها **(الذي يعمل فيه كثيرون ممن أعرفهم ويعرفوني)**

أما لماذا نتج عن اكتشاف هذا التداخل والتكتيف **العجب وزيادة الانقباض**، فلعل ذلك إشارة إلى أن إصلاح الشقة الذي بدأ به الحلم ليس إصلاحاً يحقق النقلة والتجديد، فالقديم المألوف يفرض نفسه بديلاً عن الإصلاح المهزوز، الذي بدأ أنه لا يعدو إلا أن يكون أملاً لا أكثر، ومع ذلك فالقديم لم ينجح في تخفيف الانقباض بل زاده.

السيدة موضوع الهجوم والاعتداء من ذلك الشاب المشتبه فيه المزعجة رؤيته، المشكوك في أمانته، الخاطف لحاجة غيره، قد تذكرنا بالسيدة التي اعتدى عليها الشبان الأربعة في حلم "21"، لكنها هنا ليست عابرة طريق ولا هي موضوع اقتحام يلوح باغتصاب، إنها عابرة طريق، موضوع سرقة ما (خطف حقيقية)، ومع ذلك فقد تكون ذات دلالة مشتركة في الحلمين.

من هو هذا الشاب اللص الغامض؟ هل هو رمز أهل ثقة الرئيس "المعلم"؟ ولهذا هو **"مضمون كاجنيه الذهب"**، وهو **"إبنه وتربية يده"**. (لست واثقاً إن كانت حكاية التوريث كانت قد أثرت في الواقع بهذا الحجم أيامها أم لا).

المسألة إذن ليست توجسا موجهاً تجاه فرد واحد له سابقة ما، يبدو أنها عصابة مترابطة تحت لافتة التجديد والإصلاح (الدولة)، التغطية على اللص تتم من قبل السلطة الأعلى بوضوح بإعلان أنه **"مضمون مثل كاجنيه الذهب"**.

ويحل الظلام (بلغة السياسة الأحدث: نعدم الشفافية أكثر فأكثر)، ولأن صاحب الشقة موضوع التجديد والإصلاح الوهمي كان غائبا عنها طوال تلك المدة، فهو لم يشارك في مواصلة تعهد نظافتها وصيانتها وإصلاحها بنفسه أولاً بأول، فليدفع الثمن بالضيق في الظلام الآن مهدداً بالسرقة.

أين الرئيس "المعلم" نستنفذ به من الجارى، أو يؤمننا ضد السرقة والخطف؟

دخل الحمام

مهمة خارجية، تأجيل المواجهة، خطاب رسى بالنيابة؟

المعلم هنا دخل الحمام"، ولا أمل في خروجه قريباً

"وتصورت أن غيابه في الحمام مؤامرة"

فهى العصاية، وهو الغياب، وهو النداء بلا طائل، وهو المساء الظلام، وهى المسئولية على الجميع بدءاً بغياب صاحب الشأن عن شقته، وإهماله لها، امتداداً إلى الظلام، تحت مظلة الفساد التأمري، واختفاء المعلم الرئيس.

وبعد

أعترف أنني فشلت هذه المرة أيضاً أن استبعد اختزال الحلم إلى أحوال البلد

ولو صح ما حضرنى، رغماً عني، فإنني أميل إلى رفض أن يوظف الإبداع في شجب الفساد الجارى، ذلك أن شجب الفساد والتآمر علينا أصبح أمراً لا يحتاج - حالياً - إلى مثل هذا التحايل، بمثل هذا الإبداع.

ومن ناحية أخرى أشعر أنني بقراءتي الحلم كذلك، ربما كنت استسهل.

لكن بيني وبينك

الصورة المبدعة حلماً: جميلة ودالة أكثر من مائة مقال صارخ.

Forum Web Site

<http://fr.groups.yahoo.com/group/TheManAndEvolutionForum/>

Forum Subscription

TheManAndEvolutionForum-subscribe@yahoogroupes.fr

Mail To Forum Participate

TheManAndEvolution-FORUM@arabpsynet.com

FORUM INVITATION

www.arabpsynet.com/Rakhawy/MaEForumInvitation.pdf